الأهرام

المصدر: المصور

التاريخ : ١٤ مايو ٢٠٠٤

هل يكفى الاعتذار ؟!

غضب فى الجيش الأمريكى من الإبقاء على رامسفيلد

لايبدو أن العاصفة الشديدة التى أثارها افتضاح عمليات التعذيب المنهجى للمعتقلين العراقيين فى سجن أبوغريب، التى هزّت الإدارة الأمريكية، ولطخت شرف الجيش الأمريكى، وألحقت خسائر ذات طبيعة استراتيجية بسياسات الولايات المتحدة فى العراق وفى الشرق الأوسط سوف تهدأ قريبا، أو أن آثارها المدوية يمكن أن تكون قابلة للسيطرة أو الاحتواء سريعاً، خصوصا بعد أن أعلن وزير الدفاع الأمريكى رامسفيلد أمام لجنتى التحقيق فى مجلسى الكونجرس أنه يتوقع الأسوأ فى غضون الأيام القادمة، لأن هناك عدداً من شرائط الڤيديو يمكن أن تتسرب، تحوى من جرائم التعذيب ماهو أفظع وأشد قسوة من كل الذى تم نشره على العالم!.

وما من شك فى أن اعتراف الرئيس الأمريكى بفظاعة ماحدث وإقدامه على تقديم اعتذار رسمى للعراقيين الذين تعرضوا لهذه الجرائم الوحشية، يمثل بادرة طيبة تنم عن شجاعة الرئيس الأمريكى، كما أن الوعد الذى قدمه بعدم تكرار ماحدث ربما يكشف عن رغبة واضحة فى تقصى الحقيقة حتى النهاية، لكن الواضح حتى الآن، أن ثمة إصراراً على تعليق القضية كلها على سبعة جنود «أشقياء»، تجاوزوا حدودهم، وارتكبوا هذه الأعمال

عمليات التعذيب

لم تكن مجرد خطأ

فردى ولكنها عمل

منهجى منظم!

«الفردية» الشنعاء، التى لاتعكس، من وجهة نظر الرئيس الأمريكى، قيم الشعب الأمريكى أو تقاليد المؤسسة العسكرية الأمريكية!.

وبرغم الاعتراف الواضح الذى قدمه وزير الدفاع رامسفيلد بمسئوليته عما حدث، فإن الإدارة الأمريكية لاتنظر إلى هذا الاعتراف باعتباره حقيقة مهمة ينبغى التعامل معها على نحو جدى، خصوصا أن الجرم شنيع، والمصيبة ضخمة، والآثار كارثية على كل المستويات، ولكنها تعاملت مع هذا الاعتراف باعتباره أحد الأدوات المهمة، التى ربما تساعد الإدارة على احتواء ماحدث، وغلق هذا الملف السيىء السمعة على نحو عاجل.

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

وكما سارع الرئيس بوش إلى إعلان تمسكه بوزير دفاعه، سارعت كونداليزا رايس مستشارة الأمن القومى إلى تأكيد أن الرئيس لايزال يضع ثقته فى وزير دفاعه، رغم ما أثبتته التحقيقات من أن ماحدث فى سجن أبوغريب لم يكن خطأ بضعة أفراد تصادف أنهم يميلون إلى القسوة!، ولكنه عمل منهجى منظم، تم ترتيبه، عندما وافقت مستويات من النسق الأعلى للجيش الأمريكى على وضع سجن أبوغريب تحت إدارة المخابرات العسكرية، ووظفت حراس السجن من أفراد البوليس الحربى كى يكونوا فى خدمة أجهزة الاستجواب المخابراتية، يجهزون المعتقلين في حفلات تعذيب، فردية وجماعية، لجلسات التحقيق، كى يسهل إكراههم على تقديم اعترافات غالبا ماتكون غير حقيقية، ينطق بها المعتقلون خلاصا من عذابهم، وعندما وافقت قيادات النسق الأعلى فى البنتاجون على تطبيق لوائح التعامل مع المعتقلين التى تم إنشاؤها خصيصا للتعامل مع مسجونى معتقل جوانتانامو فى كوبا إثر أحداث سبتمبر، التى تضم ٢٠ إجراء تكنيكيا لممارسة الضغط البدنى والنفسى، يمكن استخدامها أثناء الاستجواب لانتزاع الاعترافات من المعتقلين، تبدأ من حرمان المعتقل من النوم، إلى إجباره على خلع ملابسه أثناء الاستجواب، إلى إهانته جنسيا وبدنيا أمام المجندات أو بواسطتهن على وجه الخصوص، أو إجباره على ارتداء ملابس النساء الداخلية، وكلها تخاصم قواعد القانون الدولى، ولاتتوافق مع بنود اتفاقية جنيف، التى تنظم قواعد التعامل مع المعتقلين والأسرى فى سجون الاحتلال.

والواضح من تقارير التحقيق فى القضية أن الولايات المتحدة لاتكن احتراماً لاتفاقية جنيف التى تم إهدارها فى العراق، وجرى إهمال تطبيقها فى أى من سجونه...، وما يؤكد وجود عمل منهجى منظم ومقصود يرتب عمليات التعذيب اعترافات الجنود المتهمين، الذين أكدوا أنهم لايعرفون شيئا عن اتفاقية جنيف، وأنهم كانوا ينفذون الأوامر التى تصدر إليهم من ضباط الاستجواب التابعين للمخابرات العسكرية، وكلها أوامر شفهية، وأنهم كانوا كثيرا ما يتلقون التهانى والمكافآت على حسن قيامهم بالمهمة الموكولة إليهم، ويكمل هذه الاعترافات اعترافات الجنرال كاربنيسكى التى كانت تتولى قيادة السجن قبل نقلها أخيرا من منصبها من أنها كانت تقيم غالبا فى مطار بغداد، ولم تكن تزور السجن سوى لماماً، لأن السجن من الناحية العملية كان تحت قيادة المخابرات العسكرية التى أوكل إليها مهمة الإشراف على حراس السجن من أفراد البوليس الحربى كى يكونوا فى خدمة عمليات الاستجواب.

غير أن أسوأ ما فى القضية هو إحساس النشوة التى أظهرته الصور المنشورة على وجوه المجندين الأمريكيين، رجالاً ونساء، وهم يمارسون عدوانهم البذىء وإهاناتهم البدنية والجنسية للمعتقلين العراقيين، فيما يلتقط زملاؤهم عبر كاميرات الديجتال التى تنتشر بين

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

فضائح سجن أبوغريب أفقدت أمريكا مصداقيتها كحارس أمين على حقوق الإنسان.. وجعلت خططها لإقامة عراق حر وديمقراطى مجرد نكتة كبيرة!

المجندين صوراً تذكارية لهذه الأحداث يبعثون بها إلى الأهل والأصدقاء فى الولايات المتحدة!، بما يؤكد عمق الكراهية التى ترسبت فى نفوس الجنود، وازدرائهم الشديد الذى ينم عن احتقار بالغ لآدمية المعتقلين، وهو أمر لايمكن أن يكون مقطوع الصلة بحملة الكراهية التى شارك فيها بعض أعضاء الإدارة الأمريكية على الإسلام والمسلمين بعد أحداث ١١ سبتمبر، بينهم رامسفيلد وزير الدفاع، الذى سكت عن إهانات عدد من كبار مساعديه تطاولوا على الإسلام، ووجهوا أقذع السباب لرموز المسلمين، بصورة أثرت دون شك على وجدان هؤلاء الشباب، الذين تظهر الصور سعادتهم البالغة وهم يمارسون عدوانهم البذىء على المعتقلين!.

ولايقل فداحة وسوءاً عن صورة المجندة الأمريكية إنجلند التى تحس زهواً بالغاً وهى توجه الإهانات الجنسية لسجين عراقى تركوه عارياً كما ولدته أمه وغطوا رأسه بأكياس البلاستيك صورة جندى أو رجل أعمال أمريكى وقع فى أيدى جماهير الفلوجة الغاضبة، فأوسعوه ضربا حتى الموت، لكن الصورتين على بشاعتهما - صورة العراقى تحت التعذيب وصورة الأمريكى المسحول - تعكسان الإخفاق والفشل الأمريكى الواضح فى العراق، وهو أمر يتحمل رامسفيلد الجزء الأكبر من مسئوليته.

وقد يكون بين الأسباب التى ألزمت الرئيس بوش الوقوف إلى جوار وزير دفاعه، أن استقالة رامسفيلد أو إقالته فى هذه الظروف والحرب لاتزال على أشدها، يمكن أن تعطى إشارة مهمة تكشف فشل الإدارة الأمريكية فى العراق، وتزيد فرص الديمقراطيين فى كسب انتخابات الرئاسة القادمة، لكن الأمر المؤكد، أن الإدارة الأمريكية تحصد الآن أخطاء رامسفيلد، ومساعده وولفويتز، وباقى شلة المحافظين الجدد الذين يكنون كراهية عميقة للعرب والمسلمين والذين سارعوا إلى إشعال حرب ثبت زيف أسبابها، ولم يقدروا حجم مخاطرها، ولم يضعوا فى حسبانهم كيفية الخروج من مأزقها، ولم يقدروا على نحو صحيح حجم المقاومة وفداحة الثمن الذى يمكن أن تدفعه الولايات المتحدة ثمنا لاحتلالها العراق لأنهم تصوروا الأمر مجرد نزهة يلقاهم فيها العراقيون

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

بالورود والأحضان!، ثم زاد الطين بلة ممارسات الجنود فى سجن أبوغريب، التى أفقدت الولايات المتحدة مصداقيتها فى أن تكون الحارس الأمين على حقوق الإنسان فى عصرنا الراهن!، وجعلت من خططها لإقامة عراق حر وديمقراطى يكون نموذجاً لعالمه العربى نكتة كبيرة!، وهدفا يستحق السخرية، وجردتها من هذا السبب الذى تتعلق به الآن لتبرير غزوها للعراق بعد أن تكشف زيف سببها الأول، عندما لم يتم العثور على أى من أسلحة الدمار الشامل فى العراق!.

لكن الأهم والأخطر من كل ذلك، أن الإدارة الأمريكية الراهنة فقدت مساندة وتعاطف غالبية الشعب العراقى الذى يعتقد معظمه - طبقا لاستقصاء للرأى جرى بالتعاون بين منظمة جالوب ومحطة «سى. إن. إن» - أن القوات الأمريكية هى قوات احتلال، جاءت لسلب خيرات العراق، وللسيطرة على مقدرات الشرق الأوسط، ونصرة إسرائيل، دون أن يكون هدفها الحقيقى إقامة عراق حر ديمقراطى يكون نموذجاً لعالمه العربى.

ولا أظن أن هناك فرصة كبيرة أمام واشنطن كى تكسب عقول وأفئدة العراقيين كما تأمل، لأن الأيام القادمة تنبئنا بما هو أشد قسوة وفظاعة فى قضية التعذيب، كما تنبئنا بتصاعد المقاومة والعنف، وهذا فى حد ذاته يمثل واحدا من أهم أسباب إخفاق خططها فى العراق، لأن النسبة الأكبر من الشعب العراقى وبما يقترب من الإجماع، تطالب الآن بخروج قوات التحالف فى أسرع وقت ممكن، على حين تصل نسبة الأمريكيين الذين يطالبون بعودة القوات الأمريكية إلى بلادها حدود ٦٠ فى المائة، طبقا لاستقصاء أخير نشرته الصحف الأمريكية مما ضاعف من مأزق الإدارة الأمريكية، ووضعها بين شقى الرحى، خصوصا أن كبار قادة البنتاجون يؤكدون أن القوات الأمريكية سوف تواجه خلال الشهرين القادمين تصاعداً مستمراً فى المقاومة وحرباً سوف تزداد ضراوة وبأساً.

❑ ❑ ❑

وداخل البنتاجون يزداد الانتقاد العلنى لخطط الجيش الأمريكى فى العراق، على ألسنة كبار القادة والضباط، الذين يعتقدون أن القوات الأمريكية فى العراق قد ربحت بعض المعارك التكتيكية الصغيرة، مثل القبض على صدام حسين، والسيطرة على الوضع فى الفلوجة، وإحكام الحصار على رجال مقتدى الصدر فى النجف وكربلاء والكوفة، وعزله بعيداً عن أية مساندة من جانب المرجعيات الدينية الكبيرة للشيعة، لكنها حققت فشلاً ذريعاً على المستوى الاستراتيجى، لأنها حولت غالبية الشعب العراقى إلى أعداء للوجود الأمريكي فى العراق، ولأن الصورة الغالبة فى أذهان العراقيين الآن، أن قوات التحالف قوات احتلال ينبغى مقاومتها، ولأن الحجم الراهن للقوات الأمريكية لايساعدها على تحقيق نصر حاسم على المقاومة، ولأن زيادة قوات التحالف تبدو هدفاً صعباً بل ومستحيلاً، فى ظل التفكك الذى يعانى منه التحالف الراهن!.

بل إن كثيراً من هؤلاء القادة يعتقد أن تحقيق عراق حر وديمقراطى على ضوء الواقع الراهن، وفى غيبة علاقات جيدة بين العراقيين وقوات التحالف، وفي ظل تنامى الطائفية وإحياء الوضع العشائرى يبدو هدفاً صعب المنال، إن لم يكن من المستحيل تحقيقه فى غضون السنوات القادمة، لأنه بعد عام من إعلان الرئيس

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

إحساس النشوة على وجوه الجنود الأمريكيين يؤكد عمق الكراهية والاحتقار البالغ لآدمية المعتقلين

بوش نهاية العمليات العسكرية لايزال العراق أقل أمنا، ولايزال العراقيون عاجزين عن معرفة من سوف يحكم العراق غداً، ولايزال شبح الصدام الطائفى قائماً، ولاتزال الفوضى هى سيد الموقف ووريثه الأكثر احتمالاً.

وثمة آراء داخل البنتاجون تعتقد أن الحل الأمثل لضمان عراق مستقر وآمن هو العودة إلى فكرة «المستبد العادل»، وتسليم العراق إلى حكم عسكرى قوى الشكيمة، وأن الحل الذى جرى تطبيقه فى الفلوجة، عندما تم تسليم قيادة العمليات هناك إلى ضابط قديم من الحرس الجمهورى يمكن تطبيقه على مستوى العراق بأكمله، وأن مثل هذه القيادة ربما يكون فى وسعها أن تعيد الاستقرار وأن تهيىء وجوداً آمنا لقوات التحالف فى العراق، فى قواعد عسكرية بعيدة عن مراكز التجمع السكانى والعمرانى فى العراق!.

❑ ❑ ❑

وغاية القول، إن الوضع فى العراق قد أصبح أكثر تعقيداً بعد الذى حدث فى سجن أبوغريب، وأن خطط الأمريكيين لحماية مصالحهم والسيطرة على الشرق الأوسط تصطدم على نحو مباشر بعداء متزايد من الشارعين العربى والإسلامى، اللذين يعتقدان أن الإدارة الأمريكية تخوض حربا مقدسة ضد الإسلام، وتزدرى ثقافة المسلمين، ولاتعير اهتماماً كافياً للعرب أو لمشكلاتهم وحقوقهم، لأن كل جهدها مكرس لدعم مطامع الإسرائيليين فى الأرض العربية، كما أن ادعاءاتها بحماية حقوق الإنسان فى العالم العربى مجرد نفاق وخداع! كشف تضليله ما حدث فى سجن أبوغريب.

فى ظل هذا المناخ غير الصديق يصعب على أية إمبراطورية فى التاريخ مهما تكن قوتها أن تحقق أهدافها مهما كسبت من معارك صغيرة، لأنها خسرت الحرب يوم خسرت مصداقيتها، ويوم خسرت القلوب والعقول فى مجال غير محدود يتسع ليشمل العالمين العربى والإسلامى.

ومع الأسف، لاتُريد الإدارة الأمريكية أن تفهم حجم الترابط بين مايجرى فى العراق ومايجرى فى الأرض المحتلة، ولاتريد أن تدرك أن مازاد من تفاقم الوضع وسوئه بعد حوادث أبوغريب، أن العرب قد طفح بهم الكيل من جراء الانحياز الأعمى والمتعمد لإسرائيل الذى يغمض العين عن

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

الجانب الأكبر من الشعب العراقى يطالب الآن بخروج قوات الاحتلال فى أسرع وقت ممكن.. و٦٠٪ من الأمريكيين يطالبون بعودة قواتهم

جرائم مخيفة، يرتكبها شارون كل يوم فى الأرض المحتلة تفوق جرائم سجن أبوغريب مرات عديدة، لكن الإسرائيليين أشد مكراً من الأمريكيين، لأنهم لايسمحون لجنودهم أن يحملوا معهم إلى داخل السجون الإسرائيلية كاميرات ديجتال صغيرة لنقل صور التعذيب التذكارية إلى ذويهم!.

ولاتريد الإدارة الأمريكية أن تفهم، أن غياب التصديق العربى لأية ادعاءات تتعلق بحماية حقوق الإنسان أو إصلاح نظم الحكم العربية لايعود فقط إلى ماحدث فى سجن أبوغريب، ولكنه يعود بالدرجة الأولى إلى الممارسات الإسرائيلية الوحشية التى وصلت إلى حد استخدام طائرات الأباتشى الأمريكية الصنع وطائرات الـ. «إف ١٥» فى قتل الأشخاص فى الشوارع، دون أن تحرك واشنطن بنت شفة، على العكس كانت تعطى إشارات خضراء!، وذلك ما أصاب بالضرر البالغ سمعة واشنطن ليس فى العالم العربى فقط ولكن فى العالم أجمع.

ولن تستطيع العجرفة والاستعلاء وفرض السياسات عنوة على الآخرين أن تقدم للولايات المتحدة مخرجاً صحيحاً من أزمتها فى العراق وأزمتها فى العالمين العربى والإسلامى بل وأزمتها فى العالم أجمع، لأن المخرج الصحيح يكمن فى معاودتها احترام الشرعية الدولية، والكف عن هذا الفكر الفاسد الذى برر دون وجه حق الضربات الاستباقية لتحقيق مطامح سياسية لاعلاقة لها بالإرهاب، والإضرار بمصالح الناس أخذاً بمبدأ العقاب الجماعى! إهانة للفلسطينيين والعرب!

ما من مخرج صحيح لواشنطن سوى أن تكون القدوة فى ترسيخ أحكام الشرعية

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

الدولية بأن تصدر التزاماً عالمياً بتنفيذ بنود اتفاقية چنيف على كل سجونها فى العراق وأفغانستان وسجون حليفتها إسرائيل، وتفتح أبواب أبوغريب للتفتيش الدورى من جانب الصليب الأحمر، لا أن ينشغل ضباطها بتهريب المعتقلين من عيون مفتشى الصليب الأحمر كما حدث فى أبوغريب، وأن توكل إلى وزارة العدل العراقية أمر الإشراف على هذه السجون إن كانت تريد حقاً نقل السلطة إلى الشعب العراقى.

وأظن أن ذلك كفيل بأن تستعيد واشنطن مصداقيتها فى غير زمن، دون حاجة إلى اعتذار من الرئيس الأمريكى وأسفه، الذى يحاول بعض معاونيه استخدامه كغطاء لتعليق القضية فى رقاب سبعة جنود لم يكن فى وسعهم إلا أن ينفذوا الأوامر!.

وإذا كانت الشرعية كلا واحداً يصبح من الحكمة أن تقف واشنطن إلى جوار الشرعية فى الأرض المحتلة وتتوقف عن إهدار المرجعيات الأساسية التى تضمن حلولاً صحيحة لمشكلة الصراع العربى ـ الإسرائيلى، وتكون أول الملتزمين بما تم إعلانه فى خارطة الطريق دون تسويف، لا أن تكون أول من يخرق الاتفاق أسوة بالإسرائيليين.

ذلك هو أقصر الطرق كى تستعيد واشنطن مصداقيتها واحترامها ليس فى العراق أو فى العالمين العربى والإسلامى وحدهما، ولكن فى العالم أجمع، وهو أيضا أقصر الطرق لتهيئة تحالف دولى صحيح وقوى، يمكنها من مواجهة الإرهاب بدلاً من هذا التحالف القسرى الذى يزداد تفككاً كل يوم بينما تزداد ضراوة الإرهاب..، لكن واشنطن لن تفعل شيئا من ذلك لأن انتخابات الرئاسة على الأبواب ❑

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية